حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

العدد 16، جوان 2022

أكسيل هوينث: في الاعتراف، مسارات وأشكال (الجزء الثاني)

في ضرورة الاهتمام بعلم الأديان في جامعاتنا التونسية

نقائض البيتلز: في التهاجي بين بول مكارتني وجون لينون

الخبر عن مولد حبيب وتسميته وقومه وشيء ممّا حدث سنة ميلاده

الصومال... "الدولة" التي لا تُحكَم؟

جمعية تونس الفتاة

تقرؤون في هذا العدد

الصومال..." الدولة" التي لا تُحكَم؟ ص. 4-5
أنيس عكروتي

أكسيل هوينث: في الاعتراف، مسارات وأشكال (الجزء الثاني) ص. 6-9
إبراهيم خليفي

في ضرورة الاهتمام بعلم الأديان في جامعاتنا التونسية ص. 10-11
فهمي رمضاني

نقائض البيتلز: في التهاجي بين بول مكارتني وجون لينون ص. 12-13
حمزة عمر

الخبر عن مولد حبيب وتسميته وقومه وشيء ممّا حدث سنة ميلاده ص. 14-15
حمزة عمر

حروف حرّة

مجلّة شهرية تصدر عن
جمعية تونس الفتاة

تأسسّت في مارس 2021

رئيس التحرير
حمزة عمر

فريق التحرير
أنيس عكروتي
فهمي رمضاني

التصميم
حمزة عمر

مصدر صورة الغلاف
theowp.org

للتواصل معنا
redaction@tounesaf.org

صور من احتفال جمعيّة تونس الفتاة بعيدها العاشر يوم 14 ماي 2022
الصور لـ: رميساء المرسني

الصومال..." الدولة" التي لا تُحكَم؟

بقلم: **أنيس عكروتي**
عضو مؤسّس لجمعية تونس الفتاة
مهندس بيولوجي
باحث في شؤون الجماعات الجهادية
anis@tounesaf.org

"المدافعون عن هذا الانتشار العسكري الأمريكي يعلّلون ذلك بتزايد مستوى الخطر الذي تشكّله" حركة الشباب المجاهدين"

التاريخ: يوم الثالث من أكتوبر من سنة 1993

المكان: العاصمة الصومالية مقديشو

يومها مُنيت نخبة القوات الخاصة الأمريكية"دلتا فورس" بهزيمة غير متوقّعة بالنظر لكفاءتها القتالية العالية. بعد تحديد الهدف (مبنى يُفترض أن يكون جنرال الحرب المستهدف محمد فرح عيديد بداخله)، نزلت مروحيات أمريكية من طراز" بلاك هوك" و"كوبرا" إلى علو منخفض (قرابة 40 قدم) قصد تنفيذ إنزال برّي وتحييد الهدف في أقلّ زمن ممكن.

لكن المهمة لم تكن بهذه السهولة، فقد اتضح أن عيديد لم يكون متواجدا بالمكان (إخفاق استخباراتي) وسقط عشرات الضحايا من المدنيين العزّل جرّاء القصف الأمريكي العنيف والذي تواصل حتى خلال عمليّات الإجلاء.

الأمر لم يتوقف عند هذا الحدّ، فقد سقطت مروحيتين أمريكيتين وقتل 19 جنديّا (في عمليّة سُميّت بسقوط الصقر الأسود)، تمّ التنكيل بجثثهم وسحلهم في شوارع مقديشو في مشهد سينمائي مخيف، ينبئ بأنّ الصومال لن تُحكَم أبدا!

فشلت "عمليّة إحياء الأمل" فشلا ذريعا وعجّلت بقرار الرئيس الأمريكي بيل كلينتون سحب القوات العسكرية الأمريكية من الصومال بعد أقلّ من عام واحدا.

بعد مرور قرابة 18 شهرا على قرار الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب بسحب 750 جنديا من الصومال، أعاد الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن نشر 500 جنديا وذلك تزامنا مع فوز المرشح حسن شيخ محمود بكرسيّ الرئاسة يوم 15 ماي 2022 وهو المدعوم أمريكيا ممّا ساهم في اتخاذ قرار إعادة انتشار القوات الخاصة الأمريكية، وذلك أمام الرئيس السابق محمد فرماجو الذي تُعتبر أثيوبيا من أبرز داعميه.

تاريخيا، المشهد السياسي الصومالي لا يختلف كثيرا عمّا حدث ويحدث في أفغانستان.

شهدت الصومال خلال أواخر ثمانينات وبداية تسعينات القرن الماضي حربا أهلية طاحنة أدّت إلى الإطاحة بحكم القائد العسكري سياد بري المدعوم من الاتحاد السوفياتي، تفكّك الجيش وعمّت الفوضى في مشهد شبيه بالصراع بين أمراء الحرب الأفغان إثر انسحاب القوات السوفياتية.

منذ ذلك الوقت والصومال يعيش حالة لا استقرار سياسي وأمني في ظل غياب سلطة مركزية قوية وكثرة المتدخلين الخارجيين وبالتالي تضاد مصالحها (تركيا، إيران، الإمارات، الولايات المتحدة الأمريكية، أثيوبيا...) وهو ما ساهم بشكل كبير في تصاعد نفوذ حركة الشباب الصومالية الموالية للقاعدة، ممّا يعيد إلى الأذهان تكرار تجربة طالبان حين أعادت انتزاع الحكم مستغلة ضعف الحكومات السابقة وتعويلها بشكل مطلق على الدعم العسكري الأمريكي.

في هذا الإطار، رحّب الرئيس الصومالي الجديد بقرار بايدن إعادة نشر مئات الجنود الأمريكيين، ويبدو أنّه يثق في نجاعة هذه القوات على قلة عددها أكثر ممّا يثق في القوّات العسكرية التابعة للاتحاد الافريقي (قرابة 18000 جندي) وهو ما يطرح مجددا مسألة الولاءات الخارجية لـ"أمراء الحرب" الصوماليين..

المدافعون عن هذا الانتشار العسكري الأمريكي يعلّلون ذلك بتزايد مستوى الخطر الذي تشكّله" حركة الشباب المجاهدين" لا فقط على الأمن الداخلي، بل على أمن القرن الإفريقي وحتّى داخل العمق الأمريكي، ففي سنة 2020 تمّ احباط عملية اختطاف طائرة وتحطمها في عمل مماثل لهجمات الحادي عشر من سبتمبر الشهيرة، وقد تورّط في هذه العمليّة صوماليون لهم صلة بحركة الشباب.

يذكر أنّ حركة الشباب كثفت مؤخرا من هجماتها مستفيدة من حالة الفوضى وصراع مختلف القوى السياسية

الصومالية على الحكم، متكئة كذلك على ايرادات مالية ضخمة تقدّر بأكثر من 200 مليون دولار سنويا.

في المقابل، يجدر التذكير بأنّ الإدارات الأمريكية السابقة قدّمت دعما سخيّا على المستوى المالي والعسكري (تسليحا وتدريبا) للحكومات الأفغانية السابقة وحافظت لمدة طويلة على عشرات آلاف الجنود بقواعدها العسكرية لكن كانت النتيجة انهيار للجيش الأفغاني في ساعات وتسلّم طالبان للسلطة مجدّدا، ومن غير المستبعد أن يحدث الأمر ذاته في الصومال.

جيوسياسيا، تبدو الولايات المتحدة الأمريكية مرغمة على تعزيز حضورها بالصومال ومنطقة القرن الإفريقي عموما نظرا لأهمية المنطقة المجاورة للمحيط الهندي إضافة إلى كونها نقطة ربط مع الجزيرة العربية الغنية بالنفط ووجود مضيق باب المندب الذي تمرّ من خلاله البضائع والأسلحة وناقلات النفط والغاز. كما يمثّل تعزيز حضورها تصديّا للامتداد الصيني ــ الروسي في المنطقة.

فالصين هي أكبر شريك تجاري لإفريقيا، وقد بلغت قيمة التجارة المباشرة بين الطرفين في 2019 أكثر من 200 مليار دولار، وفقا للأرقام الصينية الرسمية.

روسيا كذلك وعلى لسان بوتين تنوي التحوّل بشكل أكبر نحو آسيا وأفريقيا في مواجهة العقوبات الغربية المفروضة عليها.

هنا تبدو الأولويات الأمريكية (خصوصا بعد الانسحاب العسكري من أفغانستان) مشتتة بين الملف الروسي وكبح جماح التنين الصيني في شرق آسيا وخاصة في بحر الصين الجنوبي. لذلك تعتقد الإدارة الأمريكية الحالية في ضرورة التواجد العسكري ولو بصفة عددية محدودة في كلّ المناطق التي تشهد حضورا أجنبيا منافسا.

على المستوى الأمني، لا يبدو أنّ الوجود الأمريكي سواء بصيغته الحالية أو حتى مع رفع عدد القوات العسكرية سيساهم في بسط الأمن وفرض الاستقرار وبالتالي من غير المرجّح أن يتّجه البلد نحو التنمية وتحسين الظروف المعيشية .بل ربّما يصب هذا الأمر في مصلحة حركة الشباب لمزيد التجنيد وتكثيف الهجمات على القوات الأجنبية والمحلية المتعاونة معها تحت إطار" التصدّي للغزاة" خاصة وأنّ الصوماليين عموما لا يحتفظون بذكريات طيبة مع الأمريكيين.

الصومالة، الأفغنة، اليمننة.. تختلف الأماكن وتتشابه الوضعيّات.. كان شعورا ويبدو أنّه يتحوّل شيئا فشيئا إلى قناعة بأنّ هناك دول لا تُحكَم فعلا..ولن تُحكَم ..

"

تعتقد الإدارة الأمريكية الحالية في ضرورة التواجد العسكري ولو بصفة عددية محدودة في كلّ المناطق التي تشهد حضورا أجنبيا منافسا

"

أكسيل هوينث: في الاعتراف، مسارات وأشكال (الجزء الثاني)

بقلم: إبراهيم خليفي
أستاذ فلسفة ومترجم تونسي
khlifi22ibrahim@gmail.com

"المجتمع المريض هو ذلك الذي يقع الاعتداء فيه على الشروط الاجتماعية لتحقّق الذات الفرديّة بما هي ذات مستقلّة"

من باراديغم التعارف الى باراديغم الاعتراف، هونيث مستحضرا هيجل

يتمّ عمل الفلسفة الاجتماعية وفق التعريف السابق لها على مستويين؛ يتعلق أوّلهما بالتشخيص والوصف الظاهراتي وهو مستوى إمبريقي ينطلق من المعيش، ويخصّ المعنى السلبي للاعتراف .ثم ثانيا تحديد أشكال الحياة الناجحة في المجتمع، وهو معياريّ، ويتعلّق بالمعنى الموجب للاعتراف الذي هو المفهوم المؤسس لما يسميه هونيث أخلاق الاعتراف.

المعنى السلبي للاعتراف

تجيب فلسفة هونيث في المستوى الأوّل على سؤال الأشكال المشوّهة للاعتراف، ولكن تجدر الإشارة قبل ذلك إلى أمرين:

أولا أنّ المجتمع المريض هو ذلك الذي يقع الاعتداء فيه على الشروط الاجتماعية لتحقّق الذات الفرديّة بما هي ذات مستقلّة. وينطلق هذا التشخيص من فكرة أقرّها هيجل مفادها أنّ وعي الكائن البشري بذاته يتوقّف على تجربة الاعتراف بها اجتماعياً .ثم ثانيا، أن الوصف الذي يقدّمه هونيث الخاص بالمجتمعات الرأسمالية الغربية الراهنة التي تناولها هابرماس بالدرس كذلك سابقا، يعارض التوجّه الذي يردّ جميع المسائل المعياريّة المتعلّقة بالنظام الاجتماعي إلى مشكل العدالة الاجتماعية، وكذلك يؤكد على إمكان فشل المجتمع أيضا عند عجزه عن ضمان شروط حياة ناجحة لأفراده.

تتمّ أفعال الازدراء أو الاعتراف السلبي في عدّة دوائر. يتبع هونيث في تعداده الفيلسوف هيجل في نسق الحياة الإيتيقيّة وتمنع هذه الأفعال تحقق استقلالية الذات في دائرة علاقة الفرد بالعائلة، والمجتمع والدولة، ومحيطها التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة والمجتمع المدني والدولة التي تمثل لدى هيجل أرقى مستويات الحياة الإيتيقية. فالدولة الليبرالية الحديثة نشأت على أساس نموذج تعاقدي يلغي الاختلافات الخصوصيّة، أو يرتقي بها إلى مستوى الوحدة التأليفية للإرادات الفردية؛ لكن شهدت الفترة الفاصلة بين عصرهيجل والحقبة الراهنة في العالم الغربي تطورات اجتماعية وسياسيّة بلغ صداها إلى الفلسفة ويمكن الإشارة إلى الطبقيّة كظاهرة جعلت منها كتابات ماركس مرجعاً أساسيا لتشخيص أزمة الدولة الحديثة التي بدت قائمة على هيمنة فاقدة للمشروعية واستغلال فاحش من قبل بعض الفئات لبعضهم الآخر.

إضافة إلى ذلك فإن الحرمة الجسدية والأخلاقية للأشخاص تهدّدها ظاهرة العنف وخاصة مع الجريمة المنظّمة، كما تطرح ظاهرة الاغتصاب والعنف ونبذ الجنس شكلا سلبيا وتنكرا تطرح أشكال مقاومته صراعا من أجل الاعتراف لتجد صداها في الحركات النسويّة التي تطرح مشكل الكرامة الجسدية والشرف سعيا من أجل مساواة الجنسين.

إن أشكال سلب الحياة الإيتيقية من تمييز على أساس اللون أو الجنس أو المنحدر الإثني للأفراد أو المعتقد، تضعف الاندماج الاجتماعي بين المجموعات الخصوصيّة. ولعل الشعور بالقهر أو الازدراء يبيّن أن سلب الاعتراف ظاهرة مركّبة، وهي أزمة تتعلق بالهويّة، وهي وإن تعلّقت دوما باستقلالية الأفراد، فهي تنتشر من المستوى الضيق لوجود الفرد في العائلة إلى وجوده في المجتمع ثم في الدولة وأخيراً في العالم. من هنا انطلقت معاينة هونيث لمسألة الاعتراف في طورها السلبي، باعتبارها نقيض أشكال الاعتراف الحقيقي والعامل الذي من خلاله ولد الصراع مقاومة للاحتقار.

يتحدد الاعتراف حسب هونيث على أنه فعل أخلاقي متجذّر في العالم الاجتماعي بوصفه من الأحداث اليوميّة، وهو ينطلق من أربع مسلمات يعتقد أنها تحوز الإجماع:

- لفظ الاعتراف يؤكّد على الخصال الموجبة للبشر ذواتا أو مجموعات وله علاقة بدلالات أخرى.

- الاعتراف هو خاصية فعل وليس مجرد رمز، وهو موقف معياري من الذات المعترف بها.

- أفعال الاعتراف ظاهرة متميّزة في العالم الاجتماعي وجوهريّة، وتعبّر عن مقصد مستقل تجاه الآخر، ويتجلّى في أفعال اللغة وفي الحركات وفي الإجراءات المؤسساتية التي تكون غايتها متجهة إلى وجود الشخص الآخر أو المجموعة الأخرى.

- الاعتراف مفهوم نوعي يحتوي داخله على مفاهيم فرعية؛ مثل الحب والاحترام

القانوني والتقدير الاجتماعي، وهي مقاربات متنوعة اقتبسها من فلسفة هيجل واشتغل عليها كأشكال الاعتراف منطلقا من الحب باعتباره أولى ملامح الاعتراف المتبادل.

في اكتمال الاعتراف أو الاعتراف المتبادل: ثلاث نماذج.

تجدر الإشارة في البدء إلى أن ما يحتفظ به هونيث من هيجل إنما هو مشروع تأسيس نظرية اجتماعية ذات قوام معياري، وينخرط ضمن هذا المشروع الاحتفاظ بأشكال الاعتراف الثلاث باعتبارها لحظات من الاعتراف المتبادل، وباعتبار أنه لدى الاعتراف المتبادل يكمل الاعتراف بالذات عينها.

النموذج الأول: الاعتراف والحب.

يشمل الأنموذج الأول للاعتراف الذي وضع تحت راية الحب سلسلة علاقات العشق والصداقة والعائلة «مقتضيا روابطا وجدانية قوية بين عدد محدود من الأشخاص [1]». ويعد هذا الشكل الأول مرتبة ما قبل حقوقية للاعتراف حيث تقر الذوات فيما بينها تكافلا في حاجاتها بما هي كائنات ذات احتياج.

يتم التفاعل الأول بين الذوات انطلاقا من علاقة الحب التي تكون أولى مراحل الفعل بينها فالحب وهو مفهوم قد انشغل به هيغل كثيرا في مرحلة الرومانسية، ويشكل لديه نموذجا للعلاقات الأولية على مستوى العلاقات المثيرة وعلاقات الصداقة أو العائلة التي تتضمن أواصر قوية بين عدد من الأفراد. ويمثل معه المستوى الأول للاعتراف المتبادل بين هذه الذوات.

هذا ويستند هونيث في تحليله لهذا الضرب من الاعتراف إلى نتائج علم النفس الاجتماعي لدى عالم النفس الإنجليزي دونالد وينيكوت من خلال علاقة الطفل بأمه وحاجته إلى الأمومة خاصة في الأشهر الأولى، ويميز هونيث عمل وينيكوت الذي ذهب بعيدا عن النظرية الفرويدية المعنونة" بالنرجسية الأولية" معتبرا أن رعاية الأمومة تبدو على أنها انبثاق لكل قوى الطفل وبذلك فالأم تمثل بالنسبة للطفل "فعلا بينذاتيا أوليا" إذ عبرها يحقق ذاته عبر الاعتراف المتبادل بينهما.

يتحدد الاعتراف في هذه المرحلة باعتباره متبادلا من حيث الرابط الوجداني وفق نموذج الأم والطفل من جهة، كما يحصل الاعتراف بالذات من جهة الخلافات ضمن سيرورة انفصال الطفل عن محيطه. خاصة على صعيد التناضج الذي ينتسب إليه الحب عند سن الرشد، ويتعلق بالخروج من حالة الاعتماد المطلق الذي يثيره رابط شهوي: سواء من خلال مثال الأم والطفل، أي إذا ما كان على الطفل نفسه في مرحلة ما مواجهة غياب الأم والتعويل على نفسه، أو في مثال تجارب الحب في سن الرشد التي من شأنها أن تواجه فيها الذات لحظات الفراق.

أما على صعيد والصداقات باعتبارها تعزز الشعور بالانصهار في مثال المحبين والأصدقاء وفق تعرف كل واحد الى الاخر بالتشكيل النزوعي بالقوة التي يغرسها الحب الإباحي فتكون الرغبة في الاخر نفسها عامل التوحيد بين الطرفين باعتبارهما متحابين متبادلين للاعتراف

> ”
> *ما يحتفظ به هونيث من هيجل إنما هو مشروع تأسيس نظرية اجتماعية ذات قوام معياري*
> “

منتجة علامات مختلفة للشكل ما قبل حقوقي للاعتراف من قبيل الانصهار، الرضى والثقة.

إن العائلة نفسها تمثل شكلا لتبادل الحب الذي من شأنه أن يكمل صيغة الاعتراف على صعيد النسل كما يجري ذلك وفقا للنموذج العاطفي. يتم الاعتراف بالطفل ابنا للعائلة أو إبنة بنقل اللقب أو اختيار الإسم ويتواصل ذلك حسب ديمومة الفعل: بمعنى أنه مثلما اعترف بي، على مواصلة الاعتراف من خلال النسل وفق عملية النقل تلك بالاعتراف إعطاءً للقب العائلة ليكون سلسلة تحت راية الاعتراف.

النموذج الثاني: الاعتراف على الصعيد الحقوقي

يعالج هونيث هذا المستوى الثاني للاعتراف المتبادل بين الذوات على الصعيد الحقوقي انطلاقا من دراسة التبادل والعقد مما يفتح فضاء للذوات للتعايش السلمي ضمن أفق أخلاقي متبادل عبر ما تكتسبه هذه الذوات ضمن التجربة من احترام اجتماعي. فعلى خلاف الحب كشكل أولي للاعتراف المتبادل، يرى هونيث في العلاقات ذات النشأة المقننة ما هو أهم، فالمحبة وإن نجحت في الإيفاء بمتطلبات الحرية ذات طابع سوسيو-سيكولوجي ضمن علاقة اجتماعية محددة، فهي محدودة في قدرتها على تأمين شروط الحرية كأهم أوجه التعبير على نيل الاعتراف فيما عدا ذلك من ساحات النزال حوله، كالصراع من أجل إنتزاع الحق في الرفاهة والعيش الكريم وحفظ الكرامة ضد أشكال الجرم المتنوعة.

يعلق جاك تامينيو: « لذلك فإن الاعتراف بالفرد بما هو حي-كذا هو الاعتراف بالشخص-هو الاعتراف بالغير بما هو مفهوم مطلق، وجود حر، إمكان أن يكون نقيض ذاته عينها بالنظر إلى تحديد ما. غير أنه اعتراف ما يزال صوريا تنقصه لحظة الاختلاف. وإن هذه اللحظة هي التي تستدعيها العلاقة بين السيادة والعبودية، وهي القوة الأعلى من الاعتراف من قبل كونها فعلية والحال أن السابقة لا تعدو كونها فكرية وصورية[2] ».

إن الاعتراف وإن بدا في مرحلته الأولى من حيث أنه اعتراف بالشخص، من حيث ما هو موجود، يظل في مستوى دون الاعتراف بالفعل كما يعبر عن ذلك تامينيو. إذ أن الاعتراف في معناه المكتمل يبنى على عنصر الاختلاف الذي من خلاله تؤخذ الحقوق على محمل الجد.

على الرغم من اختلاف أشكال الحب كمصدر لنيل الاعتراف المتبادل على أسس عاطفية مع طبيعة باقي مصادر نيل الاعتراف كان قد وحّد بينها السعي لنيل الاعتراف فإنها وفي أطوارها يمكن أن تتحول إلى سالب للحياة الإيتيقية وتظل محكومة بضرورة الحفاظ على العنصر الحقوقي باعتباره مركز السلوك البشري في العلاقة بين الأفراد أو الجماعات.

يشير هونيث في هذا الإطار إلى هيجل وميد اللذين رأيا أن فهم المرء الصحيح لنفسه كصاحب حق لا يمكن أن يتحقق إلا عبر معرفته بالتزاماته الواجب احترامها تجاه الآخر-مؤكدا على دلالة الإحترام باعتباره من معاني الاعتراف-، ضمن العيش المشترك وهذا ما يجعل الفرد بدوره يحرص على إظهار نفسه على أنه جدير بهذا الاعتراف فيرد على الاعتراف بالتبادل مما يوسع الدائرة المعيارية للحقوق.

في الوقت الذي أكد فيه هنا هيجل على ضرورة توفير شروط الحرية المسؤولة للفرد وحمايتها بقوة القانون كسبيل لتحقيق الاعتراف، يكتفي ميد في البداية باعتماد منطق القانون عند هيجل لا ببنيته ضمن علاقة الاعتراف المتبادل في إطار العيش في دولة القانون. حيث أنه يعتبر أن هذا الاعتراف المقنن عند هيجل لا يكون مدركا بتفاصيله بل بعمومياته. كما أن الحق في الاعتراف القانوني عنده يتحدد بمدى الالتزام بالمتاح من القيم لا بالحق في مناقشتها، ومن ثم الاعتراف والالتزام بها. على ضوء هذه المقارنة يطرح هونيث سؤالين حول خصوصية المقاييس المعتمدة في إقرار الاعتراف القانوني من منظور قانوني.

في مرحلة أولى، يسأل عن خاصية هذا الاعتراف القانوني القادرة على جمع كل الأفراد المعنيين به، على تنوعهم، على القبول بشكل واحد لمعنى الحرية الفردية وكيف يمكن الحديث عن اعتراف متبادل بين الأفراد من منطلقات أخلاقية ضمن علاقة تحدد شروطها القوانين والمسؤولية كانتقال من الإذلال والاحتقار، مرورا بالاستنكار باعتباره جوابا على الانتهاك في سيرورة لتوسيع دائرة الحقوق. من هنا سيفرّق هونيث بين الاعتراف ذي المعايير القانونية الصرفة والاعتراف القائم على معايير قيمية اجتماعية ومن ثمة يفتح المجال لشكل ثالث من الاعتراف.

النموذج الثالث: التقدير الاجتماعي

إذا كان الاعتراف القانوني حقا يتمتع به كل أفراد المجتمع الواحد على حد سواء فإن الاعتراف على أساس قيمة إجتماعية يحظى به ذاك الذي يملك مؤهلات خاصة وقدرات مميزة ينال على ضوئها التقدير والإعجاب من باقي مكونات المجتمع. فهو بذلك على خلاف الاعتراف على أساس القانون في شكله الحديث يمنح الأفراد اعترافا متنوعا بتنوع المؤهلات الفردية، منطلقا في ذلك من الخاص إلى العام، عكس معايير الاعتراف

> "إن الاعتراف وإن بدا في مرحلته الأولى من حيث أنه اعتراف بالشخص، من حيث ما هو موجود، يظل في مستوى دون الاعتراف بالفعل كما يعبر عن ذلك تامينيو"

القانوني الّتي تنطلق من العام إلى التفصيل.

إن التقدير الاجتماعي يرتكز على الاشتراك القيمي بوصفها أفقا ممكنا لتنوع أكسيولوجي على نحو يجعل منه مفهوما متداخلا مع وسائط القيم المشتركة: إذ أن «المفاهيم العالقة بمفاهيم التقدير الاجتماعي، مثل الحظوة أو التقدير، لا تفلت من التعدد الأكسيولوجي الحاصل عن تنوع الوسائط عينها»[3].

قديما، كان يطلق على من توفرت فيهم المعايير القيمية الاجتماعية لنيل الاعتراف صفة الشرفاء واليوم يمنحون الوجاهة أو التبجيل الاجتماعي. كما يبرز دور الاعتراف على أساس المعايير القيمية الاجتماعية كمكون للجماعات أو المجتمعات، حين تبدأ الأفراد في تداول تلك القيمة أو القيم فيما بينها، ومع إتساع دائرة ذلك زمانا ومكانا تصبح معبرة عن مسلمات ثقافية على ضوئها يحدّد الفعل ذو الحظوة الاجتماعية عما سواه. وهكذا يصبح الشعور بالتضامن، المنبثق عن التداول البيني للقيم الاجتماعية، المولد للتقدير المتبادل والقوة المركزية في تكوين الجماعات: على اعتبار أن الفعل محل التقدير لا يخدم صاحبه كفرد بل يخدم مصلحة الجماعة التي اجتمع أفرادها على قناعات صاحب الفعل ذاتها.

هكذا يصور الاجتماعي منزلة الفرد ليصبح جديرا بالاعتراف طالما تميز في قدراته ومؤهلاته، وكلما زاد هذا التميز في التدرج، كلما اقترب الفاعل من تجاوز المتاح من تلك المعايير القيمية الاجتماعية ليصبح منتجا لها. وهذا يفرز لاحقا مجتمعات وثقافات.

مع هذا التطور، تتطور معايير تصنيف الاعتراف، من التمتع بالتشريف كمكافأة على الفعل إلى التقدير والتبجيل. وتبعا لهذا التحول النوعي ينتج تحول كمي حين يتطور المنهج، من منهج فردي إلى نظام مجتمعي يتسم بديمومة التجديد القيمي وتحضر فيه الحظوة بالتقدير الاجتماعي كأهم أوجه التضامن على هذا الأساس.

خاتمة

لعله من الضروري القول على قول هونيث في الاعتراف، أنه في البدء مثل مزيجا فريدا شكله فيلسوفنا على طريقته، مراوحا بين العودة إلى القدامى مطورا ليرصد أوضاع المعاصرين. فلم يكن الاعتراف كما أصبح عليه مع أكسيل هونيث ليكتمل بالفعل دون الفحص فيه ومساءلته والتصرف فيه وفق ما تقتضيه أحوال المجتمعات المعاصرة. ولعله بالعودة الى هيجل أساسا أعطى الدلالة الأولى للاعتراف على أنه عرفان قبل الخوض في نماذج الاعتراف كما تصورها فيلسوف الروح؛ وسواء تعلق الأمر بالاستحضارات في المسألة أو التجديد فإن مطلب الاعتراف يظل معبرا عن انتظار« يمكن الإيفاء به فقط بوصفه اعترافا متبادلا... »[4]. وذلك في الأصل ما يدعو إلى النظر في مدى تجسده حسب ما تقتضيه قاعدة التبادل.

الهوامش

1. Axel Honneth, *La lutte pour la reconnaissance. Grammaire morale des conflits sociaux*, trad. Fr. de Pierre Rusch, Paris, Ed. Du Cerf, Coll. '' Passages '', 2000. P 117,
2. Jacques Taminiaux, *la naissance de la philosophie hégélienne de l'Etat, commentaires et traduction de la Realphilosophie de Iéna, 1805-1806*, Paris, Payot, 1984, P 59.
3. بول ريكور **سيرة الاعتراف، ثلاث دراسات**، ترجمة فتحي إنقزو، دار سيانترا-المركز الوطني للترجمة، تـــونس 2010، ص 251.
4. نفسه، ص. 253

« ما يحتفظ به هونيث من هيجل إنما هو مشروع تأسيس نظرية اجتماعية ذات قوام معياري »

في ضرورة الاهتمام بعلم الأديان في جامعاتنا التونسية

ترجمة: **فهمي رمضاني**
أستاذ مبرّز في التاريخ
عضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة
fahmi@tounesaf.org

تزايد الاهتمام في العقود الأخيرة بالظاهرة الدينية - باعتبارها ظاهرة جديرة بالدراسة لما لها من وشائج عميقة تربطها بالأبعاد الاجتماعية والثقافية للمجتمعات -وذلك منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 وصعود العنف الديني بشتى أشكاله وانحسار الفكر التنويري والحداثي وغياب القراءة التاريخية للأديان.

ولئن لاقت الأديان اهتماما واسعا من لدن الجامعات الغربية حيث تم تخصيص مخابر بحث ومراكز دراسات متنوعة ومجلات علمية لدراسة الأديان وتفكيك الظاهرة الدينية وفهمها من خلال الاستناد إلى مناهج حديثة ورائدة تنهل من معين التقارب بين العلوم الانسانية، فإن الجامعات العربية عامة والتونسية خاصة لم تعر هذا الاختصاص أدنى اهتمام إلى حد يومنا هذا، حيث لا توجد أقسام لدراسة الأديان بجامعاتنا، حتّى في كليات العلوم الإنسانية والاجتماعية. ولا ريب أن تجاهل مثل هذا الاختصاص المهم وغياب إرادة واضحة لمعالجة الظاهرة الدينية، يضعنا أمام أزمات دينية دورية تعيشها مجتمعاتنا كل عشرين سنة تقريبا، هذا بالإضافة إلى تخلف جامعاتنا التي لم تعد حاملة لمشاريع ولا تحركها أحلام جديدة، لذلك أصبحت المدرسة والجامعة تكون أجيالا تعيش في الماضي وتنتج شبابا ينزع نحو تساؤلات تأصيلية.

ظهر علم الأديان كعلم مستقل بالمعنى الحديث خلال القرن التاسع عشر- الذي مثل قرن العلوم الانسانية بامتياز وتبلور كاختصاص في الجامعات الغربية. ويعتبر ماكس مولر مؤسس هذا الاختصاص في 1868. تزايدت فيما بعد الأقسام المخصصة لهذا العلم في الجامعات الغربية خاصة الفرنسية والألمانية والانكليزية والأمريكية.

ويعتبر علم الأديان أحد العلوم الإنسانية المعنية بدراسة الأديان دراسة علمية وفق مناهج البحث التي وفرتها العلوم الانسانية ومناهجها. وقد ظهر مصطلح علم الأديان لأول مرة في ترجمة لكلمة ألمانية وهي religions wissenschaftالتي استعملها المفكر ماكس مولر سنة 1868 عنوانا لكتابه ثم استعملها الفرنسي إميل بورنوف عالم الأديان الفرنسي- وتكمن أكبر مساهمة لمولر في التأسيس المبكر لعلم الأديان فهو أول من وضع مصطلح "علم الأديان" في كتابه "المدخل إلى علم الأديان".

وقد تطور علم الأديان خصوصا خلال الربع الثالث من القرن التاسع عشر حيث ابتعد عن النزعة الاعتقادية الايديولوجية المعيارية التي ميزت العصور الوسطى نحو النزعة العلمية الابستمولوجية المخبرية، كما انفتح على بقية العلوم الانسانية القريبة منه كالتاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الأساطير، فظهرت بذلك عديد الاختصاصات الأخرى المتفرعة عن علم الأديان مثل تاريخ الأديان المقارن وعلم اجتماع الأديان والأنثروبولوجيا الدينية.

ويكمن أهم إسهام لماكس مولر في أنه جعل تاريخ اللغة وعلمها (الفيلولوجيا أو فقه اللغة) مدخلا لدراسة الأديان علما وتاريخا ومقارنة فحسب رأيه تعد اللغة الأداة الأولى لفهم الأديان وتاريخها وتطورها الحضاري لذلك اعتقد أن اختلاف الأديان متأت من اختلاف اللغات.

إلى جانب دراسات ماكس مولر أسهم كل من رودولف أوتو الذي أنجز أطروحة حول "فهم مارتن لوثر للروح القدس" ومرسيا إلياد الذي كتب مؤلفا ضخما حول تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية في اعتماد مناهج جديدة للبحث مثل تاريخ الأديان وعلم نفس الأديان وعلم اجتماع الأديان.

وقد أصبح اليوم علم الأديان من أهم الاختصاصات التي لها من الأهمية بمكان

> ظهر علم الأديان كعلم مستقل بالمعنى الحديث خلال القرن التاسع عشر الذي مثل قرن العلوم الانسانية بامتياز وتبلور كاختصاص في الجامعات الغربية

James Owen/Unsplash

في الجامعات الغربية، فيكون بذلك الغرب قد قطع شوطا بعيدا في هذا الميدان قلّب فيه التجارب الدينية للبشر من أوجه مختلفة وزوايا عدة وصاغ بشأنها الموسوعات والقواميس والاحصاءات والمؤلفات وخصص لها أقسام الدراسات ومراكز الأبحاث في جامعاته، في مقابل ذلك لا يزال التناول العلمي للظواهر الدينية وللمقدس شبه غائب بجامعاتنا، إذ يستمر التعامل مع التجربة الدينية دون تقدير لعمقها وثرائها وفي إطار إيماني وبمقاربة لا تبتعد كثيرا عن أدب الملل والنحل. لذلك يتوجب علينا اليوم إعادة الاعتبار للظاهرة الدينية ودراستها دراسة علمية وأكاديمية من أجل خلق أجيال متصالحة مع عصرها ومنفتحة على كل الأديان والثقافات والحضارات. فدراسة الأديان تمكننا من الانتقال من المسلمات القدسية الإيمانية التي سادت طيلة عصور الانحطاط إلى الفحص العلمي والدراسة الأكاديمية الرصينة التي تتطلع للإحاطة بالتجربة الدينية للإنسان ودراستها بكل عقلانية وموضوعية.

الأمر الذي لا يمكن تجاهله كذلك هو أن أهمية علم الأديان تكمن في كوننا لا يمكننا فهم الحضارات والثقافات المعاصرة وقيمها إلا إذا فهمنا الأديان التي تنتمي إليها، لذلك فإن دراسة الأديان دراسة منهجية مقارنة وموضوعية تساعد على اكتشاف ذواتنا في ضوء اكتشاف الآخر.

تكثيفا للقول تعتبر دراسة علم الأديان محاولة لفهم الظاهرة الدينية داخل التاريخ والواقع وليس ضمن الإطار اللاهوتي والاعتقادي وذلك من أجل إدراك أن الأديان مترابطة التواتر والتشكل ولها سياق تاريخي يجب البحث عنه وأن الدين في النهاية ليس إلا ظاهرة اجتماعية يفرضها وجود مجتمع إنساني في ظروف معينة وتتطور وفق إطارات وحاجات اجتماعية. والأهم من كل ذلك في اعتقادنا هو أن علم الأديان يعمل على النظر إلى كل الأديان باحترام وباعتبارها ثقافة نوعية للمجتمعات البشرية كانت لها الأدوار الكبرى في صنع ثقافته وحضارته على مدى التاريخ. لذلك فإن علم الأديان علم حيادي قدر الإمكان إذ ينبذ المواجهات الإيديولوجية والعقدية.

ما نستخلصه في النهاية هو ضرورة الاهتمام بعلم الأديان اليوم وتأسيس مراكز بحث متخصصة في الدراسات الدينية أو ما يسميه الأستاذ فوزي البدوي "البولتكنيك للدراسات الدينية "وذلك من أجل خلق تعليم حديث متشبع بقيم الانفتاح والتسامح وينبذ التعصب والعنف الديني ويبتعد عن التساؤلات التأصيلية. ولا ريب أن عدم اهتمام الدولة بالمسألة الدينية وعدم التفكير في حلها بطريقة راديكالية ستجعلنا عرضة لأزمات دينية دورية ولعل ما نعيشه اليوم يثبت صحة ما ذهبنا إليه.

"
لا ريب أن عدم اهتمام الدولة بالمسألة الدينية وعدم التفكير في حلها بطريقة راديكالية ستجعلنا عرضة لأزمات دينية دورية
"

نقائض البيتلز:

في التهاجي بين بول مكارتني وجون لينون

بقلم: **حمزة عمر**
رئيس جمعية تونس الفتاة
hamza@tounesaf.org

"

في أوت 1971، أصدر بول مكارتني أغنيته "الكثير من الناس". ولئن لم تحو الأغنية إشارات واضحة حول المقصود منها، فإنّ سياقها العام كان لا يدع مجالا للشكّ في أنّها موجّهة إلى جون لينون

"

النقائض لغة جمع نقيضة، وهي في الشعر القصيدة ينقض بها الشاعر ما قاله شاعر آخر وعادة ما يكون ذلك على نفس الوزن والقافية. ولعلّ أشهر أمثلة النقائض في التراث العربي تهاجي جرير والفرزدق الّذي استمرّ عقودا، وملأ مئات الصفحات.

غير أنّ هذه النقائض لم تكن قطعا خصوصية ثقافية عربية، إذ نجد لها نظائر في عدّة ثقافات وعدّة عصور. وما ظاهرة "الكلاش" بين مؤدّي الراب في فترتنا الحالية إلّا مثال معاصر على ذلك، ناهيك عن الأنماط الموسيقية الأخرى كالروك والبوب وهما نمطان كان البيتلز من أبرز ممثليهما في فترة الستّينات قبل انفصال المجموعة، واتّخاذ أعضائها الأربعة لمسارات منفصلة.

لم يمرّ هذا الانفصال دون صعوبات. لئن كان بول مكارتني هو من أبرزه إلى العلن عند إصدار ألبومه المنفرد "مكارتني" في أفريل 1970، فقد كان حاصلا بالفعل منذ سبتمبر 1969 عندما أعلم جون لينون رفاقه بمغادرته المجموعة. سبقت ذلك مغادرة رينغو ستار في 1968 وجورج هاريسون في جانفي 1969 وهما وإن كانتا مغادرتين وقتيتين (إذ لم تدوما أكثر من بضعة أيّام)، فإنّهما عبّرتا عن حجم التوتّر المتراكم في المجموعة على مرّ السنوات.

تبع هذا الانفصال صراع مرير في المحاكم، إذ رفع مكارتني قضيّة ضد رفاقه القدامى للتصريح بحلّ البيتلز بصفة قانونية، وهو ما أثار حفيظتهم ضدّه مع تبادلهم للتهم حول المسؤول عن الانفصال. في ديسمبر 1970، أجرى جون لينون حوارا مع مجلّة رولينغ ستون صرّح فيه أنّ البيتلز أسطورة وهو لم يعد يؤمن بالأساطير زاعما أنّ هيمنة مكارتني كانت أهمّ عوامل الانفصال. في المقابل، كانت هناك رؤية شائعة مفادها أنّ يوكو أونو، زوجة لينون الثانية، هي من عكّرت صفو الفريق دافعة إيّاه نحو مصيره المحتوم، ولم يأل مكارتني جهدا في التعريض بالثنائي، حتّى أنّه قام بشراء صفحة كاملة في إحدى الصحف نشر فيها صورته مع زوجته ليندا وهما يرتديان كالمهرّجين وملفوفين في أكياس، في تعريض بمصطلح Bagism (المشتق من لفظ Bag) الّذي روّج له لينون وزوجته في مهاجمتهما للثقافة السطحية.

في أوت 1971، أصدر بول مكارتني أغنيته "الكثير من الناس" (Too many people). ولئن لم تحو الأغنية إشارات واضحة حول المقصود منها، فإنّ سياقها العام كان لا يدع مجالا للشكّ في أنّها موجّهة إلى جون لينون. يمكن اعتبار كلمات الأغنية في مجملها تعدادا لأخطاء لينون إذ تتكرّر عبارة "كان هذا خطأك الأوّل" ونجد قرب النهاية عبارة "كان هذا خطأك الأخير". لا ترجع هذه الأخطاء إلى شخص المُخاطَب، بل إلى أولئك الّذين أحاطوا به محاولين الحصول على "قطعة من الكعكة" دافعين إيّاه إلى كسر "تميمة حظّه". ولعلّ أوضح مقطع يشير إلى يوكو قوله "الكثير من الجوعى يفقدون وزنهم"، إذ يبدو أنّها كانت صرّحت للصحافة أنّها كانت بصدد اتّباع حمية غذائية.

يختلط في الأغنية التأسي بالهجاء. ففي الحقيقة، يوحي مكارتني أنّه يأسى لحال صديقه السابق ويحاول نصحه كي ينتبه إلى ما يغرق فيه. كما أنّه ينتقد ميوله الوعظية في وقت نصّب فيه الزوجان لينون نفسيهما كداعيتين للسلام العالمي. إلّا أنّ الأغنية لا تخلو من بعض الاضطراب، فإن كان سياق الاغنية موّجها إلى شخص بعينه، فإنّه لا يبدو أنّ الضمير في عبارة " الكثير من الناس يبشّرون بالممارسات، لا تدعهم يخبرونك بما تريد أن تكون" يعود على لينون، بل على أفراد جمهوره. كما أنّ الانتقال إلى التغني بالحبّ المعثور عليه في العبارات الختامية لا يخلو من إبهام. فالشائع أنّ المقصودة بذلك هي ليندا مكارتني (وهي تشارك بول في أداء هذه الأغنية)، ولكن ما معنى الإشارة إليها في سياق الأغنية، وكأنّ علاقتها ببول عوّضت علاقته بلينون؟ قد يكون ذلك من باب المفاضلة بين علاقة كلّ منهما بزوجته.

مهما يكن من أمر، فقد لقيت هذه الأغنية عموما قبولا حسنا عند النقّاد، إذ أشاد فنسنت بيريز بينيتيز بتناسقها على نحو يذكّر بأغنية مكارتني Maybe I'm amazed، وصنّفتها رولينغ ستون كثالث أفضل أغانيه في مرحلة ما بعد البيتلز.

لم يتأخّر الردّ كثيرا. بعد شهر تقريبا، أصدر جون لينون اسطوانته "تخيّل" (Imagine) التي احتوت على أغنية عنوانها "كيف تنام؟" (How do you sleep). لم يلجأ المغني الإنجليزي إلى التعريض، بل هاجم رفيقه السابق بشكل مباشر وحاد منتقدا لا فقط قدراته الموسيقية، بل كذلك جوانب شخصيّة من حياته.

تبدأ الأغنية بلغط في الخلفية يذكّر ببداية أغنية "فرقة الرقيب بيبر للقلوب

الوحيدة" وهي مفتتح الألبوم الأيقونة الذّي يحمل نفس الاسم والّذي أصدره البيتلز سنة 1967. ويتأكّد هذا الرابط من خلال العبارة الافتتاحية "إذن أخذك الرقيب بيبر على حين غرّة". يسخر لينون من هجوم مكارتني عليه "الخطأ الوحيد الّذي ارتكبته كان في رأسك" ويرجعه إلى المحيطين بمكارتني (ولعلّ المقصود تحديدا زوجته ليندا) الّذين يقولون له انّه "كان ملكا". لا يرى لينون داعيا لنجاح مكارتني سوى وسامته وهو ما لن يدوم "سوى عام أو اثنين"، وذلك رغم ضعفه الموسيقي الفادح في نظره إذ يخاطبه قائلا "الصوت الّذي تصدره هو ميوزاك [بمعنى أنّه ليس موسيقى حقيقية] في أذنيّ" ويضيف بنبرة فيها الكثير من التعالي "كان يجب ان تتعلّم شيئا في كلّ هذه السنوات"، محيلا بذلك إلى دوره التاريخي كمؤسس للبيتلز و"زعيم" للفريق خصوصا في السنوات الأولى. كما يؤكّد بشكل تهكّمي أنّ شائعة موت مكارتني (وكانت قد سرت منذ 1967) هي صحيحة وكأنّه كفنّان انتهى تماما مع البيتلز.

يثبت لينون في هذه الأغنية براعته كأحد أهمّ كتّاب الأغاني في جيله. إنّ عبارة مثل "الشيء الوحيد الّذي فعلته كان أمس، وبعد أن رحلت، لست سوى يوم آخر" التي تتضمّن تلاعبا مميّزا بالألفاظ بين "أمس" (وهو عنوان أغنية كتبها مكارتني مع البيتلز في أوجهم) و"يوم آخر" (أغنية كتبها مكارتني منفردا منذ مدّة قصيرة)، لتكفي لوحدها لتنقض هجاء مكارتني. أمّا من الناحية الموسيقية، تتميّز الأغنية بنسق بطيء عموما يميل إلى الرتابة على نحو يذكّر بأغاني الريغي، مع تصاعد لافت للنغمات مع اللازمة. كما أنّ استعمال الكمنجات أضاف توشية موسيقية تخرج عن المعتاد من بساطة في التوزيع في معظم أغاني لينون، ولعلّه أراد أن يثبت تفوّقه الموسيقي من خلال مثل هذا الاجتهاد ليكسر الرؤية التي تجعل من مكارتني الأعلم بالموسيقى في الفريق القديم.

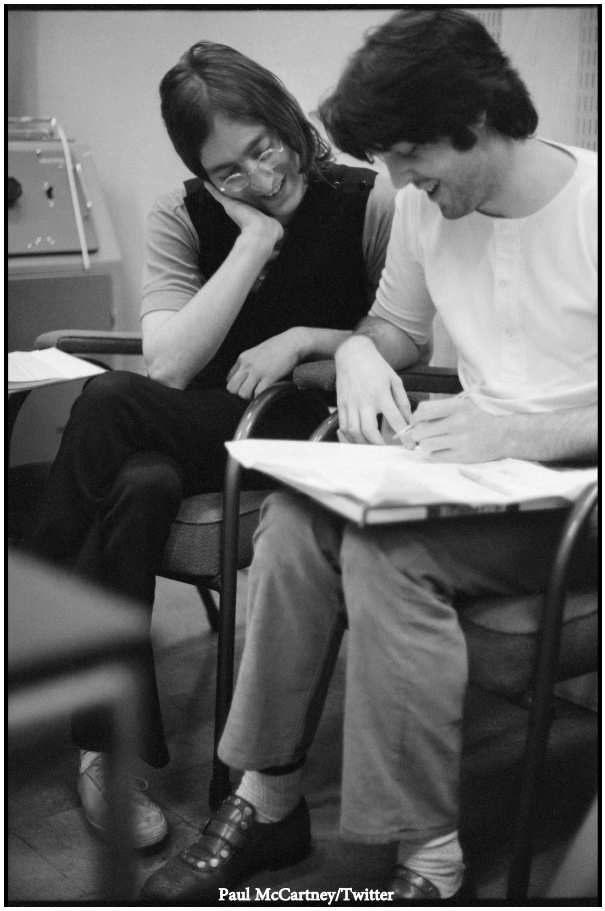
Paul McCartney/Twitter

تتضمّن الأغنية كذلك عزفا منفردا على الغيتار أمّنه جورج هاريسون. ولعلّ انضمامه إلى لينون في معركته ضدّ رفيقهما السابق يمنح الأغنية زخما أكبر. كان رينغو ستار هو العضو الوحيد في البيتلز الّذي لم يدخل في هذه المعركة، ويبدو أنّه حضر- إلى إحدى جلسات التسجيل وأبدى انزعاجه من حدّة الكلمات.

لو شئنا أن نفاضل بين الأغنيتين، لجزمنا أنّ أغنية لينون هي الأبلغ هجاء. وفي الحقيقة، يثبت لينون أنّه كلّما وُخز بشكل شخصي، يتدفّق إبداعا (وهو ما نلحظه مع أغنيات كـ"جوليا" و"الله" و"الأم") على الرغم من الطابع المباشر لمعظم الكلمات. بيد أنّه، وكما أشار بعض النقّاد، رغم تميّز أغنيته موسيقيا، فإنّه لا يمكن أن تُذكر إلّا لحدّة كلماتها، وهو ما يجعلها قصيرة العمر إلى حدّ كبير، حتّى أنّه من غير الممكن أن تفهم بعد زمانها. في حين أنّ أغنية مكارتني كان فيها من العمومية ما يمكّنها من أن تعيش بعد تلك الفترة، وذلك يدخل في باب إتقان الصنعة عند صاحبها الّذي أعاد إصدارها في نسخة آلاتية في 1977 في ألبوم "ثريلنغتون".

لم يتطوّر التهاجي بعد ذلك، ولم يتحوّل فنّانا البيتلز إلى نظيري الفرزدق وجرير. على العكس من ذلك، تراجع كلاهما عن المواجهة. في أواخر سنة 1971، وفي الألبوم الأوّل لمجموعة "وينغز"، غنّى بول مكارتني "صديقي العزيز" الّتي اعتبرت بمثابة عرض سلام. وفيما بعد، قلّل من أهمية بعض كلمات أغنيته معتبرا إيّاها "غير ضارة بالمرّة"، بل أنّه حتّى "برّأ" يوكو من انفصال البيتلز. أمّا جون لينون، فأكّد في حوار تلفزي انّ مكارتني لم يشعر بالإساءة من أغنيته، وشدّد على ضرورة أن يقع التطرّق إليها فقط كعمل موسيقي. وسرعان ما طويت صفحة النقائض الموسيقية، إحدى صفحات العلاقة شديدة التعقيد بين الثنائي اللدود لينون/مكارتني.

"
تتضمّن الأغنية كذلك عزفا منفردا على الغيتار أمّنه جورج هاريسون. ولعلّ انضمامه إلى لينون في معركته ضدّ رفيقهما السابق يمنح الأغنية زخما أكبر
"

الخبر عن مولد حبيب وتسميته وقومه وشيء ممّا حدث سنة ميلاده

بقلم: **حمزة عمر**
رئيس جمعية تونس الفتاة
hamza@tounesaf.org

كان ميلاده يوم خميس، لأربع عشر بقين من رمضان، بقرية يقال لها عين الهنيدة على مسيرة سبعة أيّام من ترشيش، وهي بلد ذو نخيل وعيون جارية يشتغل أغلب أهله بالزراعة والتجارة.

والهنيديون على قلّة عددهم ورقّة حالهم أهل عصبية ونخوة وبأس وشدّة. وقد انتقل كثير منهم إلى ترشيش في أعوام المسغبة فسكنوا حيّا بها يقال له الحيّ الأخضر فغلبوا عليه. وقد اشتغل معظمهم بميناء المدينة لمّا كان بنو عكر يحكمون البلاد فسادوا في العمل هناك، على شدّته، وأصبح لهم شأن وأيّ شأن. فكانوا إذا غضبوا لأمر من الأمور وامتنعوا عن العمل أيّاما، تعطّل الشغل في الميناء بالجملة، وذلك لأمرين: أوّلهما أنّ من الأشغال ما لم يكن يقوم به غيرهم، وثانيهما أنّه لم يكن هناك من جماعة الميناء من لا يخاف بطشهم وسرعة انتقامهم. فلم يكن يتمّ هناك أمر إلّا إذا رضوا.

وكان أحدهم إذا خوصم في أمر في سوق المدينة فاشتدّ عليه صاحبه، صاح: يا لعين الهنيدة! فيجتمع إليه من أهلها ممّن يعرفه ولا يعرفه من ينصره ظالما أو مظلوما دون أن يعرف عن سبب الخصومة شيئا، فيكثر الشجار وقد يُجرح بعض أهل السوق أو ينهب من متاعهم شيء فيضيقون بهم ذرعا. وقد حدّثنا من لا نتّهم أنّه لم يكن هناك بالسوق عسس حتّى كثرت خصومات الهنيديين بها فكاد السوق يتعطّل في بعض الأيّام. فحينها وظّف صاحب الشرطة من حرسه من يسيرون في السوق طول الوقت حتّى يضبطوا أموره ولا يتركوا شجارا يحتدم.

وممّا يروى عن عصبيّة الهنيديين أنّ أحدهم واسمه حامد أودع المخيّس، وهو السجن الّذي بناه بطرس العكري بجوار باب المغرب، في دين وكان هزيلا لا قوّة له، فاستخفّ به المساجين وأكثروا في مضايقته والتعدّي عليه حتّى كاد يهلك. وظلّ صابرا ينتظر الفرج حتّى أتاه من حيث لا يحتسب. فقد كان جالسا في زاوية يأكل كسرة خبز لمّا نشب شجار بين عملاقين أمامه، فظهر أحدهما وكان يدعى محمّدا الأسود على الآخر ظهورا بيّنا حتّى شجّ رأسه وأدمى شفته. ثمّ نظر إليه هازئا وقال: خذها وأنا ابن عين الهنيدة. فما كان من حامد إلّا أن أسرع إليه فقبّل رأسه وقال: جُعلت فداك، أنا ابن بلدتك. فسأله عن أهله ونسبه، فانتسب فعرفه. فقام محمّد الأسود في السجن صائحا: ألا أنّ حامدا صاحبي وابن عمّي فليعرف الجميع قدره. فلم يتعرّض إليه أحد بسوء بعدها، بل صار يشفّع عند الأسود وتحمل إليه اللطائف والهدايا حتّى جمع منها ما قضى به دينه. فلمّا همّ بمغادرة الحبس ودّع صاحبه قائلا: كثّركم الله، يا أهل عين الهنيدة، حتّى في المخيّس. فأرسلها مثلا.

والهنيديون، على بأسهم، أبعد الناس عن الظرف وحسن الخطاب، بل هم أسوأ الناس جوابا.

واسمه في أشهر الأقوال: حبيب، وزعم بعضهم: خُبيب. وذاك بعيد، لا سيّما والعهد لم يطل به ومازالت الناس تروي أخباره ولا أظنّ ذلك إلّا من تصحيف بعض النسّاخ جرى على أفواه بعض من لم تبلغهم أخباره عن طريق الرواية. ويكنّى: أبا الزهراء وكانت كنيته إليه أثيرة. غير أنّه كان يتكنّى وقت الحرب بأبي الحارث. ويروى في تسميته أن قد أراد بعض أهله أن يسمّيه حبيبا وبعضهم معاذا وبعضهم غير ذلك، فاختلفوا. فقالت خالته: هلمّوا نكتب الأسماء جميعا على رقاع وننظر على أيّها تقع يده. ففعلوا وحملوها إليه في مهده، فوقعت يده على الرقعة التي تحمل اسم حبيب. فقال الملأ: قد والله اختار. وكان بذلك يفتخر لمّا أسنّ ويقول: أنا من اخترت اسمي، لم يختره لي أحد.

ويقال أنّه لمّا ولد، حمله جدّه فطاف به أرجاء القرية وهو يرتجز:

ولد فينا سيّد شمردل
أتى بعزّنا فلسنا نخذل
إنّ الغد الوضّاء فيه يؤمل

وكان مولده في سنة شهباء يقال له "سنة الغارة"، وذلك أنّ الحبيب بن عليّ، صاحب ترشيش، وكان شيخا كبيرا عركته السنون مضى عليه زهاء ثلاثين سنة وهو مالك لرقاب أهلها، كان قد أجار قوما من شعب الجبّارين وأسكنهم مكانا بجنوب المدينة يقال له "الحمّام"، فعدا عليهم جمع من بني إسحاق غدرا وغيلة ففتكوا بهم فتكا ذريعا وقتلوا معهم بعض رعيّة ابن علي، فغضب لذلك، ودعا رسول قيصر، وكان له صديقا، فقال له، وهو يرفع إصبعه في وجهه مهدّدا : بلغني أنّكم مالأتم بني إسحاق حتّى فعلوا ما فعلوه، على ما تعلمون من يدي إليكم. وايم الله لئن لم تنتهوا لأخرجنّكم فلا يعود لكم بهذه البلاد ذكر وبعثت إلى صاحب الراية الحمراء فحالفته عليكم ولننظر حينها أيّكما غالب صاحبه. فبلغنا أنّ رسول قيصر كان يرتعد فرقا. وبلغ الأمر قيصر فأرسل إلى الحبيب بن عليّ فاسترضاه وبذل له من الأموال والنفائس حتّى رضي. ولم تكن لترشيش أجناد تقيها سوى لطف الله. قال حبيب: قد أخبرتني أمّي أن كانت الأرض تهتزّ لمقدم بني إسحاق حتّى ظُن الزلزال، وأنا ابن أربعة أشهر يومئذ.

أمّا أهله فهم بنو المختار بن حمدان، وكان المختار سيّدا شريفا مطاعا في قريته. وقد اختلف في شأنهم النسّابة، فقال ابن الكلبيّ: هم من نسل حمدان بن حمدون بن الحارث، من صليبة بني تغلب ملوك الشام. وقال ابن هشام: بل هم من بني عديّ بن كعب رهط عمر بن الخطّاب، فالله أعلم بحقيقة ذلك، وإن كان قول

ابن الكلبيّ أرجح عندنا إذ لم تُعرف لبني عديّ بن كعب هجرة إلى هذه البلاد إلّا إن كان بعضهم قدم دون أهله مع أخلاط من القرشيين، وأكثرهم من بني هاشم، فاستوطن بها وتزوّج من أهلها فكثروا بعدها.

وأبوه: هانئ بن مُحمّد بن عمرو بن المختار بن حمدان. كان من فرسان عين الهُنيدة المذكورين وكان على ميسرتهم يوم الشمّاخ، وهو يوم لهم على أجوارهم من قرية الرفيد. وسببه عين ماء كانت بين البلدتين تنازعها القوم، والماء هناك شحيح غال. فركب أهل عين الهُنيدة، ورئيسهم عبد الحميد بن عثمان الحُسيني، وركب أهل الرفيد، ورئيسهم طارق بن الليث الرقمي، فالتقوا بالشمّاخ واشتدّ بينهم القتال حتّى رأى هانئ بن محمّد ثغرة في نظام الرفيدين، فسار برجاله والتفّ على جيشهم من جهة الغرب وقطع عنهم المدد القادم، فوقعوا في حيص بيص، وما لبثوا أن ألقوا السّلم وظفر الهنيديون وصار لهانئ بينهم أطيب الذكر. وكانت تلك آخر المعارك بين البلدتين قبل ستّ سنوات من ميلاد حبيب. والحرب بينهما قديمة، لا يكاد يذكر مبدأها أحد من القوم، وانتهى الأمر بصلح أبرمه شيوخ القريتين على أنّ الشمّاخ آخر أرض عين الهنيدة وينتهي عند وادي الملح، أمّا ما يليه فهو من أرض الرفيد. واتّفق القوم أن يكون بعضهم لبعض ظهيرا متى حارب إحدى القريتين عدوّ قادم من الخارج. وقد أبرم هذا الصلح بدار الطاهر بن علي الرحيبي وكان شريفا مقدّما في البلدتين، ذاك أنّ أباه هُنيديّ وأمّه رفيديّة. ولقّبه البعض بعظيم القريتين، غير أنّه كان يستعيذ من هذه التسمية.

وكان هانئ بن محمّد يقول الشعر، غير أنّه كان مقلّا. وأكثر ما يُذكر عنه أرجاز له وقت الحرب. فمن ذلك قوله يوم الشمّاخ:

ولدت للحرب وللمعالي
فأبشروا في يومكم بالوبال
إنّا إذا نقدم بالعــوالي
تسقط رعبا قمم الجبال

وكان صاحب خيل كثيرة، لم تعرف العرب لها مثيلا. جمع بإسطبل داره عشرة أفراس كانت فريدة عصرها. على أنّ أشهرها كان كحيلا، ويقول نسّابة الخيل أنّه من نسل داحس فرس قيس بن زهير، وهو أشهر من أن يذكر. وكان فرسا أدهم، وعلى عظم جثّته، لم يكن يلحق، وقد دخل فيما لا يعدّ من السباقات، ولم يخسر منها أحدا حتى صار المثل يضرب فيه فيقال "أسبق من كحيل".

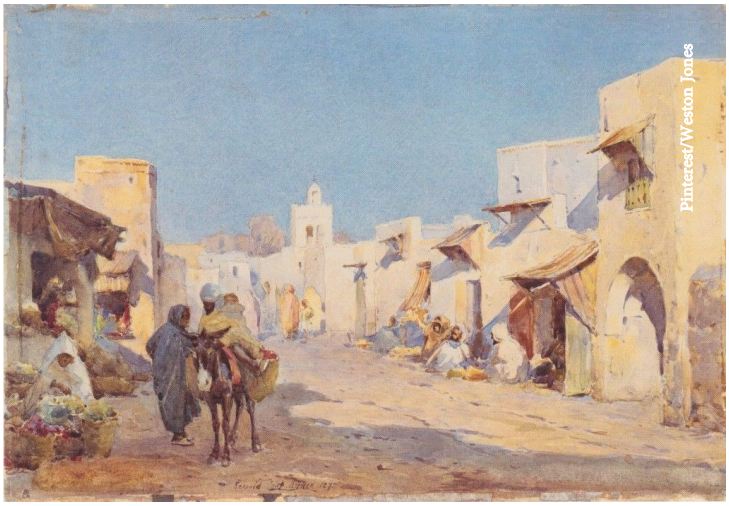

وكانت أشهر سباقاته في بلاد الروم. فقد كان هانئ كثير الترحال هناك للتجارة. وصل يوما إلى سوق فرمانية، فأسرج كحيلا قرب أحد أبوابها، فاجتمع عليه الناس يشاهدونه ويعجبون منه. وكان منهم شخص يقال له يوحنا، فلمّا رأى افتتان الناس، قال: لا يغرنّكم ما ترون من مظهره، إن هو إلّا حصان من بلاد العرب، لا يعرف إلّا الشيح والقيصوم، فكيف يباري خيولنا وهي تأكل من العلف أحسنه ولها من الساسة أمهرهم؟ فضحك هانئ وقال: ما ظننت أحدا في الدنيا يشكّ في فضل خيولنا على خيول بقيّة الخلق. وهاهو كحيل أمامك، فأجره مع ما شئت من خيولكم، ولننظر لأيّها يكون السبق. قال بطرس: فإنّ لي فرسا يقال له كاتب لم يُسبق قطّ. فتواعدا على السباق بعد أسبوعين، على أن يكون للرابح جواد الخاسر.

والتقى هانئ ويوحنا بميدان بضواحي فرمانية وحضر السباق جمع عظيم. وكان كاتب جوادا أبلق من خيل الصقالبة الّتي يربّونها في السهول الكبرى غرب البلاد. فلمّا انطلق الفَرَسان، بدا على كحيل تثاقل لم يُعهد منه قطّ حتّى وقف بعد زمان قصير، ذلك أنّ يوحنا كان قد احتال فدسّ من وضع بشرابه ما يثقله ويخدّر أعضاءه. فأسرع هانئ إلى الحلبة ليرى ما شأنه. ولمّا شاهد حاله، علم أنّ ذلك لم يكن إلّا لدسيسة، فغضب ولم يعلم ما العمل وكاتب قد تقدّم تقدّما بيّنا. غير أنّه كان مع هانئ أخوه سُهيل، وكان ممّن لا يُبلغ شأوه في أمور الخيل إذ قضّى شطرا من صباه وشبابه مع بدو هوازن فأخذ عنهم ذلك. أشار سهيل أن يُطعم كحيل حبّات قهوة يمنية ممزوجة بالهال والزعتر، فسارعوا في ذلك. فقام كحيل وكأنّما أنشط من عقال، فأخذ يطوي الأرض طيّا. وكان كاتب قد تجاوزه بنصف ميل، فلحقه والسباق يوشك على النهاية ثمّ سبقه قبلها بخطوات. فهلّل الناس وكبّر من كان هناك من آل المختار وبقي يوحنا واجما وقد علت وجهه البغتة. ثمّ أقبل على هانئ يفتدي كاتبا، حتّى بلغ مائة ألف دينار، إلّا أنّ هانئا أبى وقال: قد علمتُ ما كان من احتيالك، ولولا ذلك لوهبت لك فرسك راضيا مرضيّا، لكنّي الآن لا يرضيني منك إلّا أن تسلّمني إيّاه كما تعاهدنا وكما شهد الشهود. فسلّمه يوحنا صاغرا. فقاد هانئ كاتبا إلى وسط الميدان واستلّ مدية فنحره، وصاح في الناس: هلمّوا المأدبة. فلمّا رأى يوحنا ذلك خرّ مغشيّا عليه، ولم يلبث إلّا بضعة أيّام ثمّ مات كمدا.

جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 29797625

البريد الالكتروني: contact@tounesaf.org

الموقع: www.tounesaf.org

فايسبوك: facebook.com/tounesalfatet

تويتر: twitter.com/tounesalfatet

انستغرام: tounesaf@